

تفسير السعدي

@ 211 @ بين ذلك لا إلى ه ولاء ولا إلى ه ولاء ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا) ^ يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه ، من قبيح الصفات ، وشنائع السمات . وأن طريقتهم مخادعة ا ، تعالى ، أي : بما أظهره من الإيمان ، وأبطنوه من الكفران . طنوا أنه يروج على ا ، ولا يعلمه ، ولا يبديه لعباده ، والحال أن ا خادعهم . فمجرد وجود هذه الحال منهم ، ومشيهم عليها ، خداع لأنفسهم . وأي خداع أعظم ، ممن يسعى سعيا ، يعود عليه بالهوان والذل والحرمان ؟ ويدل بمجردة على نقص عقل صاحبه ، حيث جمع بين المعصية ، ورآها حسنة ، وطنها من العقل والمكر . فـ ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم القيامة ، ما ذكره ا في قوله : ^ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم) ^ إلى آخر الآيات . ومن صفاتهم أنهم ^ (إذا قاموا إلى الصلاة) ^ التي هي أكبر الطاعات العملية ، إن قاموا ^ (قاموا كسالى) ^ متثاقلين لها ، متبرمين من فعلها . والكسل ، لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم . فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى ا ، وإلى ما عنده ، عادمة للإيمان ، لم يصدر منهم الكسل . ^ (يراؤون الناس) ^ أي : هذا الذي انطوت عليه سرائرهم ، وهذا مصدر أعمالهم ، مراعاة الناس . يقصدون رؤية الناس ، وتعظيمهم ، واحترامهم ، ولا يخلصون . فلهذا ^ (لا يذكرون ا إلا قليلا) ^ لامتلاء قلوبهم من الرياء . فإن ذكر ا تعالى ، وملازمته ، لا يكون إلا من مؤمن ، ممتلئ قلبه ، بمحبة ا وعظمته . ^ (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ^ أي : مترددين ، بين فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين . فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا ، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا . أعطوا باطنهم للكافرين ، وظاهرهم للمؤمنين ، وهذا أعظم ضلال يقدر . ولهذا قال : ^ (ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا) ^ أي : لن تجد طريقا لهدايته ، ولا وسيلة لترك غوايته ، لأنه انغلق عنه باب الرحمة ، وصار بدله ، كل نقمة . فهذه الأوصاف المذمومة ، تدل بتنبيهها على أن المؤمنين ، متصفون بضدها ، من الصدق والإخلاص ، ظاهرا وباطنا . وأنهم لا يجهل ما عندهم ، من النشاط في صلاتهم ، وعباداتهم ، وكثرة ذكرهم ا تعالى . وأنهم قد هداهم ا ، ووفقهم للصراط المستقيم . فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين ، وليختار أيهما أولى به ، وا المستعان . ^ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا عليكم سلطانا مبينا) ^ ولما ذكر أن من صفات المنافقين ، اتخاذ الكافرين

أولياء من دون المؤمنين ، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة ، وأن يشابهوا المنافقين ، فإن ذلك موجب لأن ^ (تجعلوا عليكم سلطانا مبينا) ^ أي : حجة واضحة على عقوبتكم . فإنه قد أذرننا وحذرننا منها ، وأخبرنا بما فيها من المفاسد . فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب . وهذه الآية ، دليل على كمال عدل الله ، وأن الله لا يعذب أحدا ؛ قبل قيام الحجة عليه . وفيه التحذير من المعاصي ؛ فإن فاعلها يجعل الله عليه سلطانا مبينا . ^ (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما * ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) ^ يخبر تعالى ، عن مآل المنافقين ، أنهم في أسفل الدركات من العذاب ، وأشر الحالات من العقاب . فهم تحت سائر الكفار ، لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ، ومعاداة رسله . وزادوا عليهم ، المكر والخديعة ، والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين ، على وجه لا يشعر به ولا يحس . ورتبوا على ذلك ، جريان أحكام الإسلام عليهم ، واستحقاق ما لا يستحقونه . فبذلك ونحوه ، استحقوا أشد العذاب . وليس لهم منقذ من عذابه ، ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه . وهذا عام لكل منافق ، إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات . ^ (وأصلحوا) ^ له الطواهر والبواطن ^ (واعتصموا بالله) ^ والتجأوا إليه ، في جلب منافعهم ، ودفع المضار عنهم . ^ (وأخلصوا دينهم) ^ الذي هو الإسلام ، والإيمان والإحسان ^ (لله) . فقصدوا وجه الله ، بأعمالهم الظاهرة والباطنة ، وسلموا من الرياء والنفاق . فمن اتصف بهذه الصفات ^ (فأولئك مع المؤمنين) ^ أي : في الدنيا ، والبرزخ ، ويوم القيامة . ^ (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما) ^ لا يعلم كنهه